منظمة العفو الدولية

نوفمبر/ تشرين الثاني 2015

سوريا: أصوات في محنة

لاجئون ومهاجرون ينتظرون عند الحدود المقدونية بالقرب من قرية دوميني في اليونان، 24 أغسطس/ آب 2015.
© Amnesty International

"لا يوجد مستقبل لنا هنا"

الناشطة في حملات منظمة العفو الدولية، إيليزا غورويا، تتحدث عن العمل الذي قامت به مع اللاجئين القادمين من سوريا إلى اليونان خلال الفترة ما بين يناير/ كانون الثاني وديسمبر/ كانون الأول 2015.

انطلقنا برفقة مترجمنا الفوري جوان للقاء اللاجئين في اليونان – أي أولئك الذين نجوا من رحلة محفوفة بالمخاطر ووصلوا لتوهم إلى سواحل الجزر اليونانية، ومنهم من جرى احتجازه بضعة أيام أو أشهر ومنهم من هو عالق يتأرجح في عالم الانتظار، حيث ينتظر البعض منهم كي تقوم السلطات بمراجعة طلبات اللجوء الخاصة به أو إصدار الأوراق الثبوتية المطلوبة، فيما يواصل آخرون رحلتهم إلى منطقة شمال اليونان وما بعدها.

ومترجمنا جوان هو أحد اللاجئين الفارين من سوريا وأحد الناجين من التعذيب أيضاً. فلقد جرى استهدافه على خلفية ما يقوم به من عمل كصحفي في بلاده وتم احتجازه في سجن صيدنايا سيء الصيت. كما تعرض جوان للاحتجاز في اليونان أيضاً بعد أن تم إيداعه في مركز الحجز بكورينثوس.

تعرضت للاعتقال أثناء محاولتي مغادرة اليونان إلى إيطاليا بحراً. وفي طريقي إلى كورينثوس، تعرضت للضرب على أيدي رجال الشرطة... وشاهدت يومياً أثناء فترة احتجازي في المركز مدة 50 يوماً كيف تعرض المحتجزون للضرب (على أيدي الحراس) بلا رحمة... وحُرمنا من الحصول على الأدوية والرعاية الصحية.. ولم أحصل على أي دواء لعلاج الالتهاب الرئوي الشديد الذي أعاني منه..

ولقد بدا لي أنه من الأنسب أحياناً أن أطالب بأن يتم ترحيلي وأعود إلى التعذيب والموت.. وأخبرني أناسٌ كثر أنهم يفضلون أن يُقتلوا في بلدهم بدلاً من الاستمرار في التعرض للذل هنا... وقيل للكثيرين بأنه سوف يتم احتجازهم لفترة ، فقاموا بالتوقيع على طلبات ترحيلهم... فما يحصل داخل المركز هو التعذيب بعينه. وعندما أتذكر كورينثوس، فأرى أن اليونان بلد ميؤوس منه.

ويوضح جوان قائلاً: "إذا لم تتمكنوا من وقف تعذيب اللاجئين أو المهاجرين فسوف يأتي الدور عليكم كمواطنين". وتشبه هذه القصة غيرها من القصص التي سمعناها أثناء زياراتنا إلى مراكز الحجز الموزعة على مختلف أنحاء البلاد.

وأمضينا برفقة جوان بضعة أيام في جزيرة ليسفوس الصغيرة التي اشتُهرت بكونها من الشقوق الصغيرة القليلة في جدار دفاعات برنامج "حصن أوروبا" لمراقبة حدود الاتحاد الأوروبي. ومع وصول أكثر من 442073 لاجئاً وطالب لجوء إلى سواحلها خلال العام الجاري فقط، أصبحت هذه الجزيرة أكبر وجهة تستقبل اللاجئين لدى وصولهم إلى اليونان. وثمة مجموعة من الأشخاص قد وصلت لتوها إلى مركز موريا لاستقبال اللاجئين وقد بدا على أفرادها آثار البلل والجوع والارتباك. وشاهدنا إحدى العائلات بين مجموعة الواصلين وقد ظهر على أفرادها الإرهاق والقلق الشديد وسرعان ما فهمنا السبب حيث فقدت العائلة أحد افرادها الذي كان يسافر معها عقب سقوطه من القارب وفقدانه في البحر المظلم على حد تعبيرهم. ولهذا السبب أيضاً كانت هناك طائرات عمودية تمشط المنطقة في الأفق. ولحسن الحظ، عُثر على محمد حياً والتقينا به في المستشفى بعد أن تولت امرأة يونانية مسنة أمر رعايته.

"لقد حرصت على أن يراني أحدهم ورفعت الشعلة فوقي لكن لم يأت أحد باتجاهي. ومرت الطائرة العمودية فوقي دون أن تتوقف أو تراني.... ولقد شعرنا بمجرد صعودنا على متن القارب المطاطي بوجود خطب ما، إذ كان القارب يفقد ضغط الهواء على ما يبدو... ثم بدأ يجنح على أحد جانبيه واضطر معظم الناس لرمي مقتنياتهم في الماء... وقررنا أن نقفز إلى البحر والتشبث بالقارب من جانبيه بحيث لا يكون وزن الركاب ثقيلاً على متنه..وأمسك اثنان بالجانب الآمن منه ... فيما كان جسدي يلامس الماء.

وعرض علينا آثار بقع الملح التي خلفتها مياه البحر على ملابسه ثم أبرز جواز سفره وقد لفه بحافظة بلاستيكية بعناية. وعلى غرار محمد، يدرك الكثيرون أنهم قد يُضطرون للسباحة طلباً للنجاة فيقومون بحفظ جوازات سفرهم ونقودهم من خلال لفها بمواد عازلة للماء. إنه واقع بائسٌ فعلاً، وأضاف قائلاً:

"بلغ ارتفاع الموج ما بين نصف المتر ومتر واحد وبدأت الأمواج تضرب وجهي ودخل الماء إلى فمي.. ثم بدأت أشعر بالتعب.. وتلاطمت الأمواج على وجهي فدخل الماء إلى رئتي وبدأت اسعل...في تلك اللحظة، لم أعد أتشبث بالقارب... وشاهدت خفر السواحل التركية وكنت أحاول أن أرسل لهم بإشارة ولكنهم لم يشاهدونني. وحاولت رفع هاتفي النقال إلى أعلى وإنارته علهم يروني ولكن ضربتني موجة أخرى وانطفأ الهاتف..." "أنا من اللاذقية ولكن مرت سنواتٌ لم اقم خلالها بالسباحة في البحر... وشعرت أنني أوشكت على التجمد من البرد فاضطُررت للسباحة كي أبقي جسدي دافئاً. وأمضيت نحو خمس ساعات في محاولة للاقتراب من الجزيرة اليونانية... وأصبحت أكثر من مرة على مسافة مئتي أو ثلاثمائة متر من الساحل ولكن ظل التيار يدفعني بعيداً عنها... وكررت المحاولة كثيراً إلى أن أُصبت بالإرهاق الشديد وأوشكت على أن أفقد الوعي. ثم انتشلني أحد قوارب الصيد... واستعدت الوعي في المستشفى.

"لم أخف عندما وقعت في الماء. واعتقدت أني جسدي قوي وأنني أُجيد السباحة، ولكن ما أصابني بالإرهاق وتسبب لي بالمعاناة كان عدم قدرتي على بلوغ الشاطئ"..

"عائلتي بخير في اللاذقية التي تُعد نسبياً أكثر أماناً من باقي المدن. واضطُررت لمغادرتها لأنني مطلوب لأداء الخدمة العسكرية وتلاحقني المخابرات العسكرية عقب مشاركتي في الحركة المناهضة للعنف... ولم أود بأن أُطلع عائلتي على ما حل بي... ويقيناً لن أخبرهم بما حصل معي (في البحر).

"كنت أدرس تخصص إدارة الأعمال في سوريا. كما عملت مصمماً ومصوراً ومحرراً. وآمل أن أتمكن من القيام بذلك مجدداً."

ومحمدٌ هو أحد المحظوظين، لا سيما بعد أن قضى ما يُقدر بنحو 3601 نحبهم غرقاً في مياه المتوسط هذا العام، غرق نحو 588 شخصاً منهم في مياه بحر إيجة بين اليونان وتركيا. ولكن لم تنته هذه الرحلة المضنية بالنسبة للناجين من محنة عبور البحر. إذ عليهم التعامل الآن مع ظروف متردية لا يتوفر فيها المأوى أو الطعام أو النظافة. ويجدون أنفسهم في أغلب الأحيان مضطرين للاعتماد على ما يجود به المتطوعون حتى فيما يتعلق بالحصول على أبسط الأساسيات التي تقاعست اليونان وبلدان الاتحاد الأوروبي عن توفيرها.

وفي كوس إحدى الجزر اليونانية الأخرى، أراقب مجموعةً من اللاجئين وطالبي اللجوء يصطفون في طابور استعداداً للصعود على متن عبارة تنقلهم إلى أثينا. ويسأل أحد رجال الشرطة أحد الآباء مستفسراً عن سبب ابتسامته قائلاً: "ما الذي يضحكك؟". ثم يصرخ رجال الشرطة عليه ويقولون أنه سوف يكون آخر من يصعد إلى العبارة عقاباً له على سلوكه هذا. ولقد تأذى الرجل من هذه العدائية وبدا أنه يتألم قبل أن يسقط على الرصيف. فتمسك ابنته بيده وتصرخ قائلةً: "بابا، بابا" ولم تزد على هذه الكلمة. ثم أخبرني ابنه قائلاً: "إنه يعاني من متاعب في القلب.. ووجهوا له الإهانات. فهو رجل ذو كرامة". وناولوه دواء ما ويظهر أن بدأ يتعافى. ووصلت سيارة الإسعاف بعد دقائق ولكنه رفض أن يتم نقله إلى المستشفى. وتعجب قائلاً: "يعني ذهابنا إلى المستشفى أننا سوف نظل هنا على هذه الجزيرة. ولا يمكننا المكوث هنا ولا حتى ليوم آخر".

"فسألناه: "ماذا عساك تفعل لو أصبتك الحالة وأنت على متن القارب؟"

بينما هو مستلقٍ على الأرض وقد بدا عليه الضعف ولكنه يحافظ على رباطة جأشه ولكنه رابط الجأش. ويجيب ابنه قائلاً: "الأمر أسوأ إذا بقينا هنا فلا بد من المتابعة". وكان يرتدي قميصاً كُتبت عليه عبارة "اهرب نحو البحر".

وشاهدت على نفس الجزيرة مجموعة قوامها ما بين 15 و25 فرداً يلوحون بمضارب خشبية متأهبين للاعتداء على اللاجئين المصطفين للتسجيل أمام قسم الشرطة. وبدأ أفراد هذه المجموعة يصرخون باتجاه اللاجئين قائلين: عودوا إلى بلادكم" فيما هدد أحدهم قائلاً: "إذا استخدمت هذه الكاميرا فأنت ميت لا محالة" وقاموا بالتحلق حولنا. وجُردت إحدى الناشطات من آلة التصوير التي معها، الأمر الذي ألحق بها بعض الإصابات. ولم تبادر الشرطة إلى إيقافهم بادئ الأمر، ولا تتدخل إلا بعد بدء الاعتداءات الجسدية على اللاجئين مستخدمةً قنابل الغاز المسيل للدموع لتفريق الحشد. وفي اليوم التالي، قال لي أحد السوريين واسمه عبد الله: "شاهدتهم يتحلقون حولكم وجئت لمساعدتكم فأوسعني خمسة عشر منهم ضرباً لمجرد اقترابي منكم". واضطُر عبد الله أن يدخل المستشفى بضعة ساعات ولكنه استغل تلك الفترة في تقديم خدمات الترجمة للاجئين الذين لا يتحدثون الإنجليزية.

وتدخل شقيق عبد الله الأصغر فجأة ليقول أنه قد تعلم الآن كيف يشتم باللغة اليونانية، وقال وهو ينفجر ضاحكاً: "لقد علمتني الشرطة".

والتقيت في اليوم التالي مع زين التي تبلغ من العمر 29 عاماً وتحمل درجة جامعية في إدارة الأعمال. ووصلت زين رفقة عشيقتها إلى كوس واضطُرت للانتظار بضعة أيام كي تحصل على أوراقها الثبوتية

"لقد غادرت بلدي رفقة عشيقتي لأننا مثليتان ويستحيل علينا العيش في سورية دون شعور بالخوف أو الخطر.. فلو علم أحد بأمرنا من أفراد عائلتينا أو الكلية أو مكان العمل ... وعليه، أضحى من المستحيل العيش في سوريا في ظل هذه الأوضاع. فالجيش منتشر في الشوارع وثم جاءت داعش إلى بلدنا والجميع يقاتلون بعضهم بعضاً.

"وأما على الجزيرة هنا، فلا وجود لحقوق الإنسان. إنهم يعاملوننا بشكل أسوأ مما تُعامل الحيوانات فيه... ولا بد لنا من أن نغادر المكان بسرعة.. فنحن في خطر حتى بين جموع اللاجئين بسبب حياتنا الجنسية.. ويكفي أن رحلتنا كانت شاقة وصعبة...فلقد فررنا من مكان سيء جداً.. ولكننا بحاجة إلى وقت نبدأ فيه حياتنا من جديد والتعامل مع ما نواجهه من مشاكل... فامنحونا الوقت وسوف نحظى حينها بفرصة ثانية كي نحيا حياة طبيعية مجدداً ونصبح مواطنتين فاعلتين في المجتمع".

ولكن مع متابعة اللائجين من أمثال عبد الله وزين لرحلتهما نحو البر اليوناني، فإن المشاكل لا تتركهم وشأنهم. وتنقل معظم العبارات القادمة من الجزر الأشخاص إلى ميناء بيرايوس قرب أثينا، وجئت إلى المكان كي أشاهد ما ينتظر مئات المستضعفين لحظة وصولهم. والتقيت بأمين أثناء انتظاري وصول العبارة إلى الميناء.

وفي طريقه إلى أوروبا، غرق القارب الذي استقله أمين من ليبيا، فقضى نحو 250 شخصاً نحبهم غرقاً بينهم الكثير من أفراد عائلته وأصدقائه. وتم إنقاذه ونقله إلى مالطا التي تابع رحلته منها. وبعد سنتين، التقى بوالدته وشقيقته عقب وصولهما من الجزر كي يتابعو معاً طريقهم نحو بر الأمان والحياة الكريمة .

"يبدو وكأن ما حصل قد حصل مع شخص آخر، إنها كارثة مع هذا العدد الكبير من القتلى. ولكن اليوم يوم سعيد" وفق ما قاله أمين. ولقد ابتسم ابتسامة عريضة مع اقتراب القارب فهو متفائل ومثابر. تراجعت إلى الوارء قليلاً وشاهدت لحظة لم الشمل العاطفية لأفراد الأسرة. ورحب الناشطون بهما وبنحو ألف لاجئ وصلوا إلى أثينا من الجزر – وبخلاف توافر بعض اللافتات التي تفيد بضرورة متابعة المسير، فلا تتوفر أي مساعدة من لدن الشرطة. ويركب معم هؤلاء الأشخاص حافلات خاصة تنقلهم نحو الحدود اليونانية الشمالية مباشرة.

وينتظر البعض منهم هنا ويقدمون طلب اللجوء في اليونان، في ظل إجراءات تعاني البطء الشديد وغياب الأحكام الناظمة لأوضاع اللاجئين النظاميين أحياناً. والتقيت بنور وعائلتها في أحد فنادق أثينا. فبعد صد مجموعتهم وإساءة معاملتها من طرف حرس الحدود المقدونيين، تقدموا بطلب اللجوء في اليونان. وهي تشعر بالسعادة لحصولها على جواز سفرها مؤخراً وتبرزه كي ترينا إياه. وعندما تكبر تريد أن "تغادر على متن الطائرة بعيداً". وسألناها: "ماذا تريدين أن تصبحي حينما تكبرين؟" فأجابت قائلةً: "آه أريد أن أصبح طبيبة لمساعدة كل من يشعر بالألم". وقالت والدتها" لا يوجد مستقبل لنا هنا" في محاولة منها كي توضح أنهم لا يرغبون في البقاء داخل اليونان

وثمة ما يربو على أربعة ملايين لاجئٍ سوري يقيمون في خمسة بلدان مجاورة لسوريا، وتشيع بينهم قصص تشبه قصة نور وغيرها من اللاجئين واللاجئات. ولقد أصبحنا على مدار الأشهر الماضية شهوداً على ما يتربص بهؤلاء الأشخاص الفارين من النزاع – فثمة محنة بانتظارهم لن تنتهي في اليونان. وفي مواجهة مخاطر التعرض لسوء المعاملة والعنف والاضطرار للسير مسافات طويلة على الأقدام في طقس رديء أو الإقامة في مخيمات متهالكة أو المبيت في العراء، لا يجد اللاجئون وطالبو اللجوء الذين ينجون من رحلتهم البحرية المحفوفة بالمخاطر بديلاً عن متابعة سيرهم والمضي قدُماً.

وتدعو منظمة العفو الدولية إلى أن تقوم البلدان الغنية بحلول نهاية العام 2016 بإعادة توطين 400 ألف لاجئٍ سوري ممن تصنفهم المفوضية السامية لشؤون اللاجئين على أنهم الأكثر ضعفاً بين فئات اللاجئين. إذ توفر فرص إعادة التوطين وغيرها من الأشكال القانونية لقبول دخول الحالات الإنسانية طوق نجاةٍ لأكثر فئات اللاجئين ضعفاً في هذا العالم. ومع نهاية العام 2017، تقدر المنظمة بأن يصل عدد اللاجئين الذين هم بحاجة إلى إعادة التوطين نحو 1.45 مليون لاجئٍ من مختلف أنحاء العالم.

*ليس هذا اسمه الحقيقي

تسليط الضوء على حالة: صفاء لالا

امرأة سورية اختفت منذ 2013

صفاء لالا برفقة حفيدتها.Private©

تقيم صفاء للا (61 عاماً) في حي الميدان بدمشق وهي أم لولدين. وفي 7 مارس/ آذار 2013، توجهت لزيارة شقيقها وتوديعه قبل سفرها المفترض إلى مصر في اليوم التالي للالتحاق بابنها رامي العطار. ولكن أُلقي القبض عليها أثناء تواجدها في شقة أخيها ولا زالت محتجزة منذ ذلك التاريخ في ظروف ترقى إلى مصاف الاختفاء القسري.

وأفاد الجيران الذين كانوا شهوداً على الحادثة بأن نحو 10 عناصر بزي العسكري يُعتقد أنهم من قوات الأمن أو قوات الدفاع الوطني اعتقلوا صفاء رفقة ستة من افراد عائلتها كانوا متواجدين في شقتين ضمن نفس البناية التي تقع في منطقة تحت سيطرة قوات النظام وأُقيم على سطحها ثكنة صغيرة تابعة لقوات الدفاع الوطني.

وأخبر رامي العطار منظمة العفو الدولية أن أحد أفراد العائلة تشاجر مع رئيس الثكنة قبل يومين من اعتقالهم، وأضاف أنه يظن أن الاعتقالات جاءت انتقاماً على خلفية الشجار. ولكن لا يزال السبب الرسمي لاحتجاز صفاء غير ملعوم حتى الآن.

وفي مايو/ أيار 2015، أرسل رامي طلباً رسميا إلى المحكمة العسكرية في دمشق يستفسر عن والدته فيه، وانكر المسؤولون وجود صفاء وأفراد عائلتها الستة في عهدتها. كما سعى رامي العطار إلى معرفة المعلومات عبر القنوات غير الرسمية من خلال وسطاء في أجهزة المخابرات العسكرية والمخابرات العامة والمخابرات الجوية دون أن يفلح في معرفة أماكن تواجد والدته وأقاربه. وأخبر رامي منظمة العفو الدولية بما يلي :

"كانت تحب دمشق كثيراً وكنت ألح عليها بأن تلتحق بي في مصر إلى أن تهدأ الأمور، ولكنها ظلت ترفض حتى تمكنت من إقناعها أخيراً بالقدوم قبيل تعرضها للاعتقال بفترة وجيزة. فهي أهم شخص في حياتي وأنا كذلك بالنسبة لها. فلا أحد لي بعدها... ولقد حدثت أمور كثيرة خلال سنتين ونصف من اختفائها. فلقد أنجبت شقيقتي طفلاً وحصلتُ على وظيفة جديدة، ولدي الكثير من القصص والأخبار كي أطلعها عليها. وبدأ شعري يتساقط الآن بعد أن كان غزيراً، ولا أريد أن أكبر في السن لأنني لا أريد لها أن تراني مختلفاً عن الهيئة التي تتذكرني بها (عندما تم اعتقالها)."

الحملة

للمشاركة في حملة منظمة العفو الدولية ضد الاختفاء القسري، يرجى زيارة الموقع التالي:

https://www.amnesty.org/en/get-involved/take-action/detention-in-syria

المعلومات

لمزيد من المعلومات، يُرجى زيارة الموقع التالي:

https://www.amnesty.org/en/documents/mde24/2579/2015/en/